بظلامه والكواكب كالزهرة او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع
فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالا
فساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول
اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان
الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي
الالوهية فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي
فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز
نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه
وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من
اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم
الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر
كبره استدلالا او استظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم
اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها
ومخصص يخصصها لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت
هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبد
في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في
التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته سبحانه وتعالى وقرأ نافع
وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون
به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان
يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم
اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كأنه
علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق
بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا
تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه
اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز بالقادر
الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه

بما يخصصها ثم

ذنابا

١٧١

ذنابا او ينصب عليه لهم دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او
المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون
ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه
والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة
وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما
هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس
الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق
الشرك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله
فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا اتيناها
ابراهيم ارشدناه اليها او علمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان
جعل خبر تلك او بمحذوف ان جعل بدله اي اتينا ابراهيم حجة على قومه
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا الكوفيون ويعقوب بالتنوين
ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا
له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اي
من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف
الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم عليه الصلاة
والسلام لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو
كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها
والمذكورين في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب
ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهارون
وكذلك نجزي المحسنين اي نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم
برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم
وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو
ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو
من اسباط هارون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو
الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن
اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه
اللام كما ادخل على اليزيد في قوله

Copyright © King Saud University